

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة القادسية كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

جمال الطبيعة في شعر أبي الفتح كشاجم

بحث تقدمت به الطالبتان (عذراء جمال حساني وتقية كاظم عجمي) وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور

أ. د. ياسر علي الخالدي

۱٤٣٩ هـ

بسسم الله الرحمن الرحيس

﴿ أَفَلَا يَنظُرُ وُنَ إِلَى الْإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ ١٧ ﴾ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ مَرُفِعَتْ ﴿ ١٨ ﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿ ١٩ ﴾ وَإِلَى الْأَمْنُ ضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿ ٢٠ ﴾ ﴾

صدق الله العلي العظيم (سورة الشمس: ١٧-٢٠)

الاهداء

إلى من علمني حرفاً فملكّني عبداً أستاذي الدكتور (ياسر علي الخالدي) ... مع التقدير.

الباحثتان

فهرس المتويات

الصفحة	الموضوع
Í	الآية الكريمة
Ļ	الإهداء
E	المحتويات
Y-1	المقدمة
١٦_٣	التمهيد
٣	۱. اسمه وکنیته

£	۲. لقبه
0_£	٣. مكانته الأدبية
٦	٤. آثاره
N-V	ه. عصره
10-1	٦. وفاته
10	٧. التعريف بالطبيعة الصامتة
١٦	٨. التعريف بالطبيعة الحية
77-17	المبحث الأول: جمال الطبيعة المتحركة
۲۰-۱۹	١. الخيل
71-7.	٢ الأبل
71	٣. البقر والثور الوحشي
71	٤. حمر الوحشي
77-71	٥. الظباء
* * *	٦. النحل
71-77	المبحث الثاني: جمال الطبيعة الساكنة (الصامتة)
7 7	أولاً: الليل
7 £	ثانياً: النجوم والكواكب
70	ثالثاً: البرق
77	رابعاً: الرياح
77-77	خامساً: الأمطار
YA-YV	سادساً: الطلل
٣٠-٢٩	الخاتمة
" " - " ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' ' '	المصادر

ج

المقدمة

الحمد شه ربّ العالمين الذي خلق الإنسان، وعلمُه البيان، وخصَّ العرب بفصاحة اللسان، وشرف العربية أن جعلها لغة القرآن. والصلاة والسلام على نبيه وصفيّهِ محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الى يوم الدين.

أما بعد ...

ولقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان ((جمال الطبيعة في شعر أبو الفتح كشاجم)) دراسة موضوعية وكان الهدف منها الكشف عن صورة الطبيعة في شعر كشاجم وقد اعتمدت النصوص الشعرية في ديوان الشاعر.

يصف الطبيعة الحية والساكنة وواحة معالم الجمال في الطبيعة فجاء المبحث الأول بعنوان: جمال الطبيعة المتحركة (الحية)، وجاء المبحث الثاني بعنوان: جمال الطبيعة الساكنة أو الصامتة.

قسم البحث إلى عدة محاور: مقدمة/ تمهيد ومبحثين، حيث تناول التمهيد حياة الشاعر وتعريف الطبيعة في الأدب العربي حيث تناول المبحث الأول: جمال الطبيعة المتحركة والمبحث الثاني: جمال الطبيعة المتحركة.

أما الخاتمة فقد اجملت فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها ثم أتبعتها قائمة المصادر والمراجع التي استعنا بها. ونهلنا منها البحث وقد تنوعت بين القديم والحديث.

وأهم الصعوبات التي واجهناها فإنها من صميم واجبنا وكلما زادت صعوباته كلما زادت رصانة البحث وقيمة مادته العلمية.

وبعد، فهذا جهل المقل المتواضع، فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطأنا فحسبى أننى حاولت واجتهدت ... والله ولى التوفيق.

التمهيد

حياة الشاعر أبو الفتح كشاجم

١- اسمه وكنتيه:

أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم الشاعر. (١)

وكنيته أبو الفتح، وأبو الحسن، (٢) أما عن ولادته فلم يعثر على تاريخ ولادته فقد ولد في الرملة في فلسطين في القرن الرابع الهجري ولذلك لقب بالرملي. (٣) وقد اختلف الباحثون في أصله، فقد ذهب فريق منهم إلى (أنه فارسي الأصل وأن أسلافه الأقربين كانوا في العراق). (٤)

وقد استندوا في ذلك إلى ما قاله الشاعر في شعره في قوله: (٥)

س حماهم بالمستباح

قوموا بنو ساسان لي

ويرى فريق آخر أنه هندي الأصل، (٢) ويبدو كشاجماً تقلب في بلاد كثيرة وتنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد والموصل ثم استقر في حلب فكان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ثم أبنه سيف الدولة فقد كان طباخاً ومنجماً لسيف الدولة الحمداني. (٧) إلا أن أغلب الظن أن كشاجماً كان فارسي الأصل وذلك، لأن صرح وافتخر بهذا الأصل في شعره.

⁽۱) دیوان کشاجم: ۷.

⁽۲) ينظر: الفهرست، محمد بن اسحاق النديم: ۱۳.

⁽٣) ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: ٣٨/٣.

⁽٤) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ١٥٩/١٠. والإعلام، للزركلي: ١٦٨/٧.

⁽٥) ديوان كشاجم: ٧٣.

⁽٦) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي: ٨٦٧، وينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٥٤/٢

⁽٧) ينظر: الأعلام، للزركلي، ١٦٨/٧.

٧ ـ لقبه:

لقب (كشاجم) منحوت من علوم كان يتقنها فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من جواد، والميم من تنجيم أو المنطق وعندما تعلم الطب زيد في لقبه طاء فقيل: طكشاجم إلا أنه لم يشتهر بهذا اللقب. (^)

ونرى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) يقول (كشاجم) بضم الكاف إلا أنه بعضهم يقول بفتح الكاف. (٩)

٣- مكانته الأدبية:

يعد كشاجم (أحد فحول الشعراء المجيدين والفضلاء المبرزين) (١٠٠) وكان من الذين جمعوا بين الكتاب والشعر فقد كان رئيساً في الكتابة ومقدماً في الفصاحة وكان من الشعراء المجاهرين بحب آل البيت (عليهم السلام) الذين أعلنوا الولاء لهم، وقد تنوعت أغراضه الشعرية وامتاز شعره برقة اسلوبه ولكنه عميق المعنى واسع الخيال واضح الألفاظ يميل إلى التركيز والاختصار فنجده قلما يطيل في قصائده، ولذلك فقد وصفه معاصروه بالبراعة في الأدب واللغة والشعر والرواية والحكمة والطب. (١١٠) ولعل في براعته الشعرية ما يجعل الشاعر (السري الرفاء) ينسخ ديوانه والنسخ على طريقة شعره وتناول الموضوعات نفسها في تناولها من قبله في شعر الوصف وإن لم تكن كلها أو كما يقول الرواة في طريقه يذهب وعلى قابله يضرب. (١٢) فهذا دليل على المكانة التي احتلها الشاعر والمنزلة الكبيرة التي وصل إليها، فأنتشر صيته في ذلك الحين وعرفه الناس في تلك المدة.

⁽٨) ينظر: الديارات: أبو الحسن الشابشتي: ٢٥٩.

⁽٩) ينظر: زهر الأداب وثمر الألباب، أبو اسحاق القيراوني: ٣١٦/٣.

⁽١٠) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الحسيني الزبيدي: ٣٦٠/٣٣.

⁽١١) المصايد والمطاردة، أبو الفتح كشاجم: ١٠.

⁽١٢) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي: ١١٨/٢.

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم يهمي على حجم الفؤاد الواجم ولا تعلله بكأس مدامــــة ورسائل الصابي وشعر كشاجم

وقد تأثر كشاجم بطريقة الصنوبري في وصف الطبيعة ومحاكاتها والتغني بذكر الأديرة وملاذ الحياة، وهذا ما يؤكد لنا استحسان شعره لدى الناس، ويتضح من ذلك مكانة الشاعر الشعرية وذاع صيته بين الأقطار العربية وفنراه كثير التنقل بين بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها. (١٣)

وتحدث عنه صاحب الديارات وذكر شاعريته وثقافته ووصفه بالكاتب، وبأنه كان مليح الشعر، حسن الوصف وله تأليفات متنوعة وكتب كثيرة، (١٤) ومن أجل ذلك لقب بريحانة الأدب. (١٥)

وقد وصف كذلك (شاعر زمانه يذكر مع المتنبي)، (۱۱) وأشار الحنبلي إلى شاعريته وفصاحته بقوله (وكان رئيساً في الكتابة ومقدماً في الفصاحة له تحقيق يتميز به عن نظرائه وتدقيق يربى به على أكفائه وتحديق في علوم التعليم أضرم في شعلة ذكائه فهو الشاعر المفلق والنجم المتألق)، (۱۷) ومن هذا نرى أن نثره لم يكن من شعره فقد كان أديباً ممتازاً وكاتباً بارعاً في جميع علوم اللغة العربية. (۱۸)

(١٣) ينظر: الوصف في شعر كشاجم دلالته الفنية وقيمته الاجتماعية، د. عصام عبد على: ٤٧٦.

⁽١٤) ينظر: الديارات، أبو الحسن المعروف بالشابشتي: ٢٦٠.

^{(ُ}١٠) ينظر: يتيمة الدهر، أبو منصور التعالبي النيسابوري: ١١٨/٢.

⁽١٦) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي: ٢٨٥/٦.

 $[\]binom{1}{2}$ شذرات الذهب، أبي الفلاح الحنبلي: $\binom{1}{2}$.

⁽۱۸) ينظر: المصايد والمطارد: ٦.

٤- آثاره:

ترك كشاجم كتباً كثيرة ومتنوعة منها:

- كتاب أدب الندماء ولطائف الظرفاء. (١٩)

- كتاب أدب النديم.

نشر هذا الكتاب في مصر سنة (١٩٩٩م) بتحقيق النبوي عبد الواحد شعلان في مكتبة الخانجي، وهو كتاب صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله وأخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسماع والمحادثة، ويتخلل ذلك أخبار وأشعار. (٢١)

- كتاب البيرزة في علم الصيد

يوجد هذا الكتاب في (جوته) ولكن ضياع هذا الكتاب ولم يعثر القدماء إلا على قطعة واحدة فقط من الكتاب وتبحث في الأكثر عن الحصان وعلله، ثم أخيراً تحدث عن البزاة وجوارح الطير. (٢٢)

- كتاب خصائص الطرب. (۲۳)

- ديوان شعره₋ (۲٤)

وقد طبع عدة طبعات منها طبعة في بغداد بتحقيق خيرية محمد محفوظ سنة ١٩٧٧م، وطبعة أخرى في القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٩٧م بشرح ودراسة وتحقيق د. النبوى عبد الواحد شعلان.

⁽۱۹) ينظر: تاريخ الادب العربي، عمر فروخ: ١٣٢.

^(``) ينظر: الفهرست، محمد بن اسحاق النديم: ٤٣٣/٢.

⁽٢١) ينظر: أدب النديم، أبو الفتح كشاجم: ٥٠٢.

⁽٢١) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ١٤٣

⁽٢٠٠٠) ينظر: الاعلام، للزركلي: ١٦٨/٧.

⁽۲۲) ينظر: الفهرست، محمد بن اسحاق النديم: ۲۳۳/۲.

ه۔ عصره:

نشأ كشاجم في القرن الرابع الهجري في العصر العباسي الثاني عصر الازدهار والمرقي الحضاري والفكري، إذ ازدهرت الحضارة وقد تعطش العرب إلى الرقي، وبسبب الاندفاق الحضاري، والمدارس، والتمازج العنصري، والثروة وتشجيع أولي الأمر، وحركة النقل والترجمة فكل هذه الأمور لها أثر في اللغة والادب والعلوم والفنون، (۲۵) وفي هذا العصر سادت الفتن والاضطرابات في الخلافة العباسية والذي يقرأ هذه المرة من الخلافة يجد أن الدولة قد انهارت حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وشهد القرن الرابع الهجري العديد من الصراعات الفكرية والعقائدية وشاعت فيه الأهواء والأراء والمذاهب، فتأثرت توجهات الشعراء موالياً.

ووصف الأشياء الجامدة، ويمثل الغزل المرتبة الثانية فهو يتغزل بالجواري ومدح في شعره أهل البيت (عليهم السلام)، ومدح الخلفاء من أجل التقرب إليهم، والفخر في شعره يبرز بصورة واضحة، وقد كان شعره مقطوعات ونتفاً شعرية في أغلب الأحيان وليس قصائد مطولة، وقد رتب ديوانه على حروف الهجاء.

کتاب ر سائله:

(وقد جمع فيها ما كتبه من الرسائل الأدبية والاخوانية) (٢٦)

كتاب الطبيخ (۲۷)

⁽٢٠) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: ٥٢٢.

⁽٢٦) المصايد والمطارد: ١٠.

 $[\]binom{rv}{r}$ ينظر: فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي: $r = r \cdot r$

كتاب المصايد والمطارد (۲۸)

وهو كتاب صغير يحتوي على أشعار في وصف الحيوانات الطرائد والمصايد فالطرائد التي يطاردها الصيادون مثل الظباء والأرانب والكراكي وغيرها، أما المصايد فهي الوسائل التي يستعملها الصيادون لصيد هذه الطرائد مثل الكلاب والصقور والخيول وغيرها وتحدث الشاعر في هذا الكتاب عن أسماء الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بالصيد وتحدث عن ضروب الصيد وأنواعه وحيل منها الشباك الظاهرة والأشراك المستورة والصيد والنار والفخاخ وغيرها.

٦- وفاته:

لم تذكر المصادر مكان وفاة كشاجم، اما سنة وفاته فكانت مختلفة فقيل (أنه توفي سنة $^{(79)}$ وقيل سنة $^{(79)}$ وقيل سنة $^{(79)}$ أما محقق كتاب المصايد والمطارد لأبي الفتح فيرى أنه توفي سنة $^{(79)}$ هـ، والحنبلي يرى أنه توفي سنة $^{(79)}$ هـ لأن الحنبلي أشار إلى أن وفاته تزامنت مع وفاة أبي الفضل بن العميد المشهور، $^{(71)}$ والأرجح ان تكون وفاته سنة $^{(79)}$ هـ.

⁽ 1) ينظر: فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي: 1

ر (۲۹) الديارات، ابو الحسن المعروف بالشابشتي ۲۰۹

^{(٬}۳) كشف الظنون، مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة: ٧٠٥/١.

⁽ $^{(7)}$) ينظر: شذرات الذهب، أبي الفلاح الحنبلي: $^{(7)}$.

شعر الطبيعة في الادب العربي

ونشأة الشعر العربي حول المعاني البدوية يدل عليها كذلك ما قيل من أن الحداء أصل الشعر، وأن أوزان الشعر العربي رتبت على وقع أقدام الإبل، حتى صار معنى الحداء في العربية أو معانيه قرض الشعر. (٣٢) قد أشار إلى اتصال الشعر بالحداء وبالمتح بالدلو الجاحظ وغيره. (٣٣)

وسواء أصح أن السجع سبق الرجز، كما يرى بعض النقاد، أم أن السجع بداية عهد النثر بعد ازدهار الشعر فالمتفق عليه بين الجمهرة من مؤرخي الأدب أن الرجز أقدم أنواع الشخر تاريخاً. وفي لسان العرب أن أصل الرجز في اللغة تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم ناقة رجزاء، إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها، ومنه رجز الشعر لأنه أقصر ابيات الشعر والانتقال فيه من بيت إلى بيت سهل. وقد أدى هذا ببعض المستشرقين إلى القول بأن أوزان الشعر العربي نجمت من أن راكب الأبل كان يغنى على وتيرة خطواتها.

أما الشعر العربي المذكور فإن النقاد لا يكادون يرجعونه إلى أكثر من مائة عام قبل الهجرة، وهذا هو تاريخ الشعر الجاهلي من عصر امرئ القيس فما بعده. غير أن الشعر في هذا العصر قد استوى على نحو كامل يؤذن بوجود محاولات كثيرة من قبل.

وهذا الجهل للشعر الذي سبق عصر النهضة الجاهلية يجعل البحث في نشأة شعر الطبيعة عسيراً. لكن فناء البدوي في بيئته، ووثيق صلته بها، وطبيعة حياته فيها، تدل على أن الشعر العربي نشأ وحيا لبيئته، وأن شعر الطبيعة بمعناه العام من أقدم فنون الشعر العربي.

(۳۳) البيان والتبيين، السندوبي: ١/ ٢٠

⁽٢١) لسان العرب: رجز.

وطبيعة الحياة العربية تؤكد ما روى من أن العربي القديم كان يحدو إبله، وأنه بدأ هذا الحداء بترديد عبارات قصيرة يستعين بها على مشقة السفر، كما أن العمال في واحات النخيل وغيره كانوا يغنون استعانة على العمل، وأن هذا الغناء، وذاك الحداء تطورا حتى صارا من مواد الشعر الأولى. ويدل على هذا أقدم المأثور من الشعر العربي، إذ وصف الصحراء وحيوانها وصفاً سداه الملاحظة، ولحمته الشعور الذاتي، وبدت فيه الإبل والخيل مستولية على فؤاد العربي تمام الاستيلاء.

وهذا البزوغ الفطري قد يُغلب الإنسان عليه بما يلقى في وطنه من فاقة أو بطش، وقد يتغلب عليه بالتطور العقلي، لكن نوازعه تظل متأصله في نفسه، تجذبه إلى الوطن الأول وتحببه فيه. وامتلأت رئتاه بهوائه، وتشكلت طبيعته على مقتضياته.

وطبيعة البلاد الواضحة البسيطة التي لم تتنوع مظاهرها، ولم تظفر بعنف في السماء ولا في الأرض جعلت العربي يحس في بساطة وبلا تعقيد، وبرأته من الانفعالات النفسية التي تنجم عنها الخيالات الكبيرة، فكان عقله واقعياً، وأسلوبه موجزاً، ومنطقه بسيطاً، وخياله قريباً، وفلسفته سطحية. وذلك بأن كل ما أمامه واضح ولا يحتاج إلى حدس، ولا يقتضيه نظراً طويلاً للتفهم.

أما الخرافات وشيوعها فناجمة من هذه البساطة نفسها. وفرق بين العقلية الخرافية والعقلية الخيالية، فالأولى مصدرها سهولة التصديق، والثانية قد يتصل بها الشك وكثرة الفروض. ولهذا قام القصص مع الفلسفات، وصحبت الواقعية الخرافات. (٣٤)

وآداب العرب وسيرتهم ناطقة بشدة حبهم لبيئتهم وهيامهم بها. فإذا خرج البدوي إلى الحضر قال الشعر حسرة على الدهناء ورمالها وسهلها وجبلها، واقسم أن رياح الصحراء تثير الغبار احب إليه من رياح الحضر تهز الأشجار، وتمنى أن يبيتن ليلة واحدة في الصحراء. والبادية – عنده – موطن العزة والكرامة، ومن

-

^{(&}lt;sup>٢٤</sup>) بلوغ الإرب للآلوسي، ط مصر: ح١ ص ١٤، خلاصة تاريخ العرب ص ١٨: 'Sedillot & L. Lacy O') بلوغ الإرب للآلوسي، ط مصر: ح١ ص ١٤، خلاصة تاريخ العرب ص ١٨: 'Leary:Arabia before Mohamed; 1927, p.10

تحضر فقد العزر كل ما فيها حبيب إلى قلبه، وإن بدا وضيعاً وكل ما في الحضر وضيع وإن بدا متطاولاً.

فتماضر بنت مسعود، حين يخرج بها زوجها إلى المدينة، تنشد أبياتاً في بكاء البادية ومعاهدها الحبيبة. (٣٥)

ويروون أن امرأة ضبية احتملت من البادية الى الحضر، وقعدت على بركة في روضة بين الرياحين والازهار في ألطف وقت وأبهجه، فقيل لها: كيف حالك هنا؟ اليس هذا اطيب مما كنت فيه بالبادية؟ فأطرقت ساعة ثم تنفست وقالت شعراً يعبر عن الحسرة على نجد وطيب ترابه، والاحتقار للحضارة وملاعبها.

وقصة صاحبة معاوية مشهورة.

وهذا شاعر إن رأى المكاء على شجر الحضر، بعد ان كان كعهده به يفرخ على الارطى في البادية، اشفق عليه، وناداه أن يرتفع الى البادية وطنه الحبيب فر ار أ بنفسه من المرض.

وهذا النزوع الفكري قد يغلب الانسان عليه بما يلقى في وطنه من فاقة أو بطش، وقد يتغلب عليه بالتطور العقلى، لكن نوازعه تظل متأصلة في نفسه، تجذبه الى الوطن الأول وتحببه فيه. بل إن علماء الصحة ليرون أن الإنسان أصح ما يكون بدناً وأوفر عافية في الماكن الذي ولد فيه، وامتلأت رئتاه بهوائه، وتشكلت طبيعته على مقتضباته

وقد قوت بيئة العربي في نفسه معنى التشبث بالوطن الأول، إذ اقتضته أن يكون بيته ساذجاً، ومسكنه بسيطاً متنقلاً، فكان إحساسه بها قوياً لا يحجزه حاجز من أسوار عالية أو جدر سميكة، وكان اندماجه فيها عميقاً لا يدرك غوره. الصحراء بيته، وما يتراءى فيها مجلو أمامه. وأمله أن يجوبها، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، براحلة نجيبة لا تشكو الملال، ولا يعتريها الفتور. وهذا تأويل قول أحد خطباء

^(°°) الاستاذ أحمد أمين بك: فجر الاسلام؛ الطبعة الثالثة: ص٦٦-٦٣، م-٢.

العرب لكسرى، إن صحت هذه الرواية، حين سأله عن سكناهم البادية وتعلقهم بها: (أيها الملك! ملكوا الأرض ولم تملكهم، وأمنوا من التحصين بالأسوار، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له، يردون منها خيارها، ويقصدون ألطافها). (٢٦)

أما الشعر العربي المذكور فإن النقاد لا يكادون يرجعونه إلى أكثر من مائة عام قبل الهجرة، وهذا هو تاريخ الشعر الجاهلي من عصر امرئ القيس فما بعده. غير أن الشعر في هذا العصر قد استوى على نحو كامل يؤذن بوجود محاولات كثيرة من قبل.

وهذا الجهل للشعر الذي سبق عصر النهضة الجاهلية يجعل البحث في نشأة شعر الطبيعة عسيراً. لكن فناء البدوي في بيئته، ووثيق صلته بها، وطبيعة حياته فيها، تدل على أن الشعر العربي نشأ وحيا لبيئته، وأن شعر الطبيعة بمعناه العام من أقدم فنون الشعر العربي. (٣٧)

وطبيعة الحياة العربية تؤكد ما روي من أن العربي القديم كان يحدو إبله؛ وأنه بدأ هذا الحداء بترديد عبارات قصيرة يستعين بها على مشقة السفر، كما أن العمال في واحات النخيل وغيره كانوا يغنون استعانة على العمل، وأن هذا الغناء، وذاك الحداء تطوراً حتى صارا في مواد الشعر الأولى. ويدل على هذا أقدم المأثور في الشعر العربي، إذ وصف الصحراء وحيوانها وصفاً سداه الملاحظة، ولحمته الشعور الذاتي، وبدت فيه الإبل والخيل مستولية على فؤاد العربي تمام الاستيلاء.

ونشأة الشعر العربي حول المعاني البدوية يدل عليها كذلك ما قيل من أن الحداء أصل الشعر، وأن أوزان الشعر العربي رتبت على وقع أقدام الإبل، حتى

⁽۲۶) مروج الذهب: ج۱ ص۲۳۰

 $[\]binom{rv}{}$ طبقات ابن سلام ص $\binom{rv}{}$

صار معنى الحداء في العربية أو من معانيه قرض الشعر. (٢٨) وقد أشار إلى أتصال الشعر بالداء وبالمتح بالدلو الجاحظ وغيره. (٢٩)

وسواء أصح أن السجع سبق الرجز، كما يرى بعض النقاد، أم أن السجع بداية عهد النثر بعد ازدهار الشعر، فالمتفق عليه بين الجمهرة من مؤرخي الأدب أن الرجز أقدم أنواع الشعر تاريخاً. وفي لسان العرب أن أصل الرجز في اللغة تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم ناقة رجزاء، إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها، ومنه رجز الشعر لأنه أقصر ابيات الشعر والانتقال فيه من بيت إلى بيت أسهل. وقد أدى هذا ببعض المستشرقين إلى القول بأن أوزان الشعر العربي نجمت من أن راكب الإبل كان يغني على وتيرة خطواتها.

وظلت الطبيعة منزل وحي الشاعر؛ تنطلق فيها نفسه، وتجود قريحته. ومن هنا كان زهير يلجأ إلى الطبيعة حين يستعصى عليه الشعر ويقول: (إنه برى)^(٬³). وقيل لكثير: كيف تصنع، يا أبا صخر، إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: (أطوف على الرباع المحيلة، والرياض المعشبة، فيسهل على أريضه، ويسرع إلى أحسنه). (^(٬³) وكثيراً ما خرج الشعراء على ظهور الإبل إلى البادية يتناشدون الشعر، بل لعل كثرة الشعر الجاهلي قد قبلت على ظهور الإبل والخيل وسط الطبيعة.

فالشعر أبن الطبيعة، منها نشأ، وفي أحضانها ترعرع، وبمثلها العليا بلغ الكمال. والجماعات البدوية التي تعيش في عصرنا بعيداً عن المدنية لها حياة أدبية كحياة آبائهم الأولين. (فأعراب الشام لا يزال هواهم في البادية، وفيافيها الشاسعة، وأفاقها الواسعة، وحريتها المطلقة، ووحشتها الرهيبة، ونباتاتها وحيواناتها الغريبة، ولا يزالون يمدحون البوادي وشظف عيشيها في منظوم كلامهم ومنثوره). (٢٤)

⁽۳۸) لسان العرب. رجز

⁽۲۹) البيان والتبيين، السندوبي: ج١ ص٢٠.

^{(&#}x27; أ) الموشح للمرزباني: ص ٢٤، والأغاني (دار الكتب): ج١ ص ١٤١.

⁽⁽١٤) البيان والتبيين: ج١ ص٤٩.

⁽۲٬۱) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص۱۷ و۱۸.

ومن هذا كله يتبين أن شعر الطبيعة، بمعناه العام، ومن أقدم فنون الشعر العربي فالإنسان بما فطر عليه من الطرب وحب الغناء، والعربي الذي اندمج في الطبيعة بغير حاجز ولا حجاب، أخذ يردد الأصوات فيجد في ترديدها متاعاً، وعوناً على تحمل وعثاء السفر، فكان ما يسمونه الحداء. وتطور هذا الحداء إلى نظم كلام موزون يدور فيما يدور عليه، فيما نقل العرب من أوزان السابقين، كما يرى بعض المعاصرين، وإذا يثبت رأيه بعد. وعن الرجز تطور الشعر وتعقد حتى انتهى إلى تأليف القصائد في أواخر القرن الخامس الميلادي، وأوائل السادس عند امرئ القيس، أبي الشعر العربي ومعاصريه. (٣٤)

فالصنوبري شاعر من شعراء العربية الممتازين في وصف الطبيعة، تتوفر له عوامل التفوق في فنه، من الحب والصدق والمرح، وإرهاف الحواس، والتأمل في الطبيعة، وتصوريها جمة النشاط والحركة في صور إنسانية، لها مجتمعاتها بما فيها من تحاسد وتنافس وأهواء ونزعات، وهواه معها يميل أنى مالت، ويرنو إليها كيفما بدت، سواء أبدت في ثوب مشرق وضاء، أم تجلس بلباس أدكن. وهو نتاج طبيعي لعصره وبيئته ونشأته.

وقد أمعن في اتباع طريقة أبي نواس إذ ربط بين جمال الطبيعة وجمال الخمر، وبدت عنده الخندريس بشكلها ورائحتها تملأ العين والأنف، وتحتل المكان الأول. (٢٤)

وقد ينال الصباح عنايته لكنها عناية خمرية أكثر منها طبيعية، فالديك يهتف بالخمر، وعبير الصبوح، والطبيعة تجلى معاني الخمر. ونعمة الطبيعة مع هذا عذبة في شعره.

⁽ 13) الدكتور محمد حسين هيكل باشا: في منزل الوحى: 71 - 71

^{(&#}x27;'') دیوان کشاجم: ص۳۰ و ۷۵ و ۸۱ و ۸۲ و ۱۲۰ و ۱۲۰.

وقد ينال الديك منه عناية أعظم، كما صنع أبو نواس، فيسميه مطرب الصبح، ويتوجه على الطير، ويجليه في ألوان الصباح الفاتنة بغموضها، وبما يتنازعها من نور آتٍ وظلام ذاهب. (٥٤)

على أن صوت الطبيعة قد يكون مدوّياً يملأ السمع والقلب، كما بدا في وصفه لمكان المتاع والشراب بين فواتن الطبيعة، من روضة محلاة تلذ العيون، وغيث يبكى، وبرق يضحك شامتاً، وورد كأنفاس الحبيب، وأترج كالنهود، وبلابل وفواخت تتجاوب النغم، مما يذكرنا بروح الصنوبري الوثابة. (٢١)

وقد تأتى الخمر وحديثها الطويل تحية للربيع، كسابقه كذلك، لكن هذه التحية تنطق بالحب للطبيعة المتنوعة الأسباب في جو الغيم البديع والغموض الفاتن، تتخلله لمحات من البدر والبرق تبعث في النفس أملاً لا يلبث أن يزول، زوال فرح الحبيب يهم بتقبيل حبيبه ثم تصرفه أعين الرقباء، وفي جو الصداقة، والتآخي، مع الغيث والترحيب بالربيع. (٧٤)

وإذا كان ابو نؤاس قد رحل إلى الكرم وسفح في ظلاله دم الخمر، فإن كشاجم قد رحل إلى حقل الباقلاء، وصنع صنيع سابقه مبكراً تبكيره، ومحتفلاً للأمر أحتفاله، وصائعاً نظمه رجزاً مثله. (٤٨)

التعريف بالطبيعة الصامتة:

يراد بالطبيعة الصامتة الظواهر الطبيعية التي في هذا الكون بأرضه وسمائه فهي على هذا تشمل أجزاء الرياض والأزهار والأثمار والأنهار كما تشمل أجزاء السماء وافلاكها وأمطارها وسحابها وبرقها ورعدها.

^(°°) ديوان كشاجم: ص٣١.

⁽٤٦) الديوان: ص١٩.

 $[\]binom{1}{2}$ نثار الأزهار: ص۱۰۰.

راجع قصیدته: حتی الربیع تحیة المستقبل أهدی لنا غیماً بغیث مسبل $\binom{4}{1}$

وقد تأثر شعراء العصر العباسي بما حوته بيئتهم من مظاهر في الطبيعة فهاموا بها وأقبلوا عليها بشغف يتغزلون في أوصافها ويصورون محاسنها ومفاتنها وقد جاء معظم وصفهم تعبيراً عن استجابة النفس الشاعرة لرغبتهم في التمتع بالجمال ومنهم الشاعر كشاجم فإن ولعه بالطبيعة لا حدود له فهو يعيش صورها ومباهجها ولا يكره شيئاً فيها ويقدم الشاعر نماذج شعرية طريفة عن الطبيعة ويرسم صوراً مبهجة يشرك فيها كل أشكال الطبيعة الصامتة ويستحضر صوراً سمعية وبصرية رقيقة وناجحة عن الروض والغيث والطرد والطير. (٤٩)

التعريف بالطبيعة الحية:

نقصد بالطبيعة الحية هنا المتحركة منها الطيور والحشرات والحيوانات الأليفة والوحشية. (°°)

أي كل ما يجري فيه الحياة وينبضها بالحركة ما عدا الإنسان، ويعتمد الشاعر في أوصافه هذه على دقة التعبير وصدق العاطفة فتقترن الحقيقة بالوصف والتجسيد والصدق والاظهار. (١٥)

ولقد كان لشاعرنا قدرة فائقة في التصوير، تصوير الألوان والأشكال والحركات وتظهر قدرته في تصوير حركة الأشياء لأن تصوير الحركة أصعب من بقية التصاوير لعدم توقفه في العين. (٢٥)

⁽٤٩) ينظر: شعر الطبيعة في الأدب العربي، سيد نوفل: ٢٢.

ر) ينظر: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ايليا الحاوى: ١٤٢.

⁽١٥) ينظر: الوصف في شعر كشاجم دلالته الفنية وقيمته الاجتماعية، عصام عبد على: ٧٨.

⁽٥٠) ينظر: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٦٣-٦٤، وينظر: شعر الصعاليك: ٢٥٤.

المبحث الأول

جمال الطبيعة المتحركة أو الحية

تقديم:

التعريف بالطبيعة الحية:

نقصد بالطبيعة الحية هنا المتحركة منها الطيور والحشرات والحيوانات الأليفة والوحشية.

أي كل ما يجري فيه الحياة وينبضها بالحركة ماعدا الإنسان، ويعتمد الشاعر في أوصافه هذه على دقة التعبير وصدق العاطفة فتقترن الحقيقة بالوصف والتجسيد والصدق والإظهار. (٥٣)

لقد كان لشاعرنا قدرة فائقة في التصوير، تصوير الألوان والأشكال والحركات وتظهر قدرته في تصوير حركة الاشياء لان تصوير الحركة أصعب من بقية التصاوير لعدم توقفه في العين. (٤٠)

إن الصلة بين الإنسان والطبيعة المتحركة المتمثلة بعالم الحيوان لهي صلة عميقة عمقاً زمنياً، فقد عايش الإنسان عالم الحيوان منذ بدء التاريخ، ومنذ النشأة الأولى للخلق، ولعل قصة هابيل وقابيل أبناء آدم (عليه السلام)، هي اول رسالة تنطبق بتعليم الانسان من قبل الجنود الذي هو الغراب الذي وارى سوءة اخيه حين حفر التراب ووضع جثمان الطير الميت فيه ليتعلم ابن ادم ان يدفن اخيه الإنسان بعد موته، ومن هنا وجدنا أولى صور العلاقة بين الحيوان والإنسان. أما الشاعر فقد جسد هذه العلاقة من خلال الوصف ويعد كشاجم من الشعراء المصورين الذين اعقبوا الصنوبري والبحتري وتتلمذ على فهم أحدهما الصورة فنهم في الوصف،

⁽٥٠) ينظر: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي: ١٤٢.

 $[\]binom{\circ \epsilon}{0}$ ينظر: الوصف في شعر كشاجم دلالته الفنية وقيمته الاجتماعية، عصام عبد علي: ٧٨.

وقد انقسمت صوره على قسمين احدهما الصور المتحركة والأخرى الساكنة أما أبرز صوره المتحركة فهى:

أولاً: الخيل:

فقد تشكّل الخيل مفردة من مفردات (الطبيعة الحية في البيئة العربية، وقد اعتنى العرب بالخيول كثيراً، واعتنوا بالأصيل منها، كما تعرفوا على أنسابها بالأصالة، وسموها بأسماء متعددة، وسموها بصفات متنوعة. (٥٥)

(°°) ينظر: اغاني الطبيعة في الشولي يل: ٦٤-٦٤. وينظر: شعر الصعاليك: ٢٥٤.

المبحث الأول

جمال الطبيعة المتحركة (الحيوانات)

أن الصلة بين الإنسان والطبيعة المتحركة المتمثلة بالحيوان لها عمق زمني يعبر فيها قد اخترنا بالعيش على البسيطة منذ النشأة الأولى للخلق ولعل أقدم قصة دارت احداثها في تاريخ البشرية تقاسم الأدوار فيها الإنسان والحيوان تتجلى في قصة أبناء آدم (عليه السلام) فمن قتل احدهم الآخر بعث الله سبحانه وتعالى الغراب ليعلمه كيف يواري أخاه في التراب.

هذا يؤكد عمق الصلة بين الإنسان والحيوان.

الحيوانات التي وصفها كشاجم:

أولاً: الخيل:

الخيول من الحيوانات التي جذبت الشعراء فأكثروا القول فيها وفي أوصافها ولاسيما سرعتها وشدة جريها وألوانها وكل ما يتصل بمظاهر القوة والشدة، فقد شكلن الخيل مفردة من مفردات العربية فقد حظين بعناية الشعراء العرب واحترامهم. (٢٥) حتى أنهم فرقوا بين ما يكره وما يستحب كذلك راحو يفصلون بصفاتها واسمائها.

وصف ابي الفتح الخيل وبرع في وصفها:(٧٥)

من شك في فضل الكميت فبينه	فيه وبين يقينه المضمار
مــن منظر مستحسن محمودة	آثـــاره إذ تبتلى الأخبار
مــاء تدفــق طاعة وسلاسة	فإذا استدر الحضر منه فنار
وإذا عطفت بـــه على ناورده	لتديره فكأنه بركــــــار

⁽٥٦) ينظر: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ٩٣-٢٤، وينظر: شعر الصعاليك ٢٤٥.

^{(&}lt;sup>۵۷</sup>) دیوان کشاجم: ۱۵۲.

فقد تناول الشاعر في هذه الصورة صفات الخيل من قوة وذكاء معرباً عن شغفه واعتزازه الذي كان يساوره تجاه هذا الحيوان فمن المعروف أن العربي قد أحب الخيل وحرص عليها لما تحمله من رموز ومعانٍ كثيرة يحبونها ويفتخرون بتحقيقها كالبطولة والشجاعة والرجولة.

وقد اعتمد العرب في غزواتهم على الخيل أكثر من بقية الحيوانات لما تتمتع بها من سرعة في الجرية عند الإقبال والإدبار. $(^{\circ \wedge})$

فضلاً عن أن سرعتها الخاطفة جعلتها تستعمل لوظائف اخرى كالصيد والرهان وغيرها. (٥٩)

وقد قاموا بوصف الإبل والخيل عناية عجيبة واهتموا بدقائقهما وخصائصهما ووصف اعضاءها، وقد زخر الشعر الجاهلي بالمعاني التي تعبر عن تلك الأواصر الوطيدة بين الإنسان والحيوان بأنواعها المختلفة وأكثر الحيوانات التي لفتت انتباه الشعراء هي الخيل والأبل لما لهذين الحيوانين من أهمية كبيرة في حياة هؤلاء الشعراء.

ثانياً: الأبــــل

احتلت الابل منزلة أخرى من نفس العربي وتلك المنزلة لا تكاد توازيها منزلة أي حيوان آخر عدا الخيل التي مر ذكرها وقد كنت عنهما العرب بمسميات تدل على شدة تعلقه وارتباطه بهما ومن أشهرها أنه كان يسميها بـ(المال) فمتى ما ذكر المال فإنه يريد (الأبل) كما أنها حظين بعناية الشعراء في الجاهلية لما فيه من فوائد لهم في حلهم وترحالهم فهي مصدر مهم من مصادر غذائهم ووسيلة اساسية من وسائل تنقلهم.

وقد درج الطبيعة الثالثة الجاهلين على منهج الجاهلية في وصفهم. تصويرهم للإبل فهي تمثل عندهم رمزاً من رموز الصلابة والصبر على السفر وحر الهاجرة ولظأ وحمل الأثقال. (٦١)

^(°°) ينظر: وصف الخيل في الشعر الجاهلي: ١٩٧.

^(°) ينظر: الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي: ١٩٣

^(٬٬) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٩٨.

⁽١٦) ينظر: الصورة في الشعر العربي: ١٦٢

احتلت الناقة مكانة عظيمة في نفوسهم لم يحظ أي حيوان غيرها بما انزلت عند العرب وقد وصلت حد القداسة عند بعض الشعراء بوصفهما الحاضر المرجو، وأغلب الشعراء كان ينظر إلى الناقة على أنها الحياة المتحركة رمز الناقة ومنهم شعراء الطبقة الثالثة الجاهلين الذي ورد ذكر الناقة في شعرهم ورمزوا لها برموز مختلفة تدل في أكثرها على (الصبر، الصلابة، الضخامة، السرعة).

ثالثاً: البقر والثور الوحشى:

البقر، اسم جنس يدل على الذكر والأنثى معاً، وأحياناً يطلقون لفظ البقرة على الذكر كما يطلقونه على الأنثى فيميزوا بيمهما بأسم الإشارة، فيقولون للمذكر: هذا بقرة وللأنثى: هذه بقرة، وللبقر الوحشي أربعة اصناف، المها والأيل واليحمور والنبتل ... ويتماز البقر الوحشي بقرن صلب ضخم يستعمله للدفاع عن نفسه وأولاده ولعل البقر الوحشية كانت من أكثر الحيوانات التي التقت اليها الشعراء الجاهلية. إذا أعرض لها أكثر هم بالوصف والتأمل متخذين منها رمزاً شعرياً لمعان كثيرة. (٦٢)

وقد مثلت البقرة الوحشية اتجاهاً رمزياً قصصياً فهي صورة حكائية وظفها الكثير من الشعراء في الجاهلية

ولبركاتُ في البكرْ قافية الراء

بحتف أظب وبقر

رابعاً: حمر الوحش

لقد عني الشعراء الجاهليون بالحُمر الوحشية، فقد استحوذت على نصيب من شعرهم وقد نعتوها بنعوت مختلفة ويسمونها الصيد. وجوت السراة وصاحب الشوارب، ورباع ومن أوصافه التي صارت علماً له أيضاً القارح وذو جدة وذو جدتين، ومكرم ومستقبل، ومن أكثر ما أثار عناية الشعراء والتقاهم إلى حمار الوحش هو غيرته على أنثاه لذا فهو تجمى أنثى الدهر كله.

فأنت وحقك عينُ الحِمَار

فإن كنت تأملُ ألا تُذمَّ

خامساً: الظباء

ومن الحيوانات التي جلبت نظر الشعراء اليها بما تحمله من جمالية الضباء فقد تناولوها بالوصف حيناً وبتشبيهه كل ما بدا لهم جميلاً بما حيناً آخر (٦٣) حتى زخر الشعر الجاهلي بذكرها وكثيراً ما كانت الظبية بما تتمتع به من رشاقة واعتدال

⁽١٢) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ١٣٣.

⁽٢٣) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ١٤٢.

وصفاء اللون تستوقفهم ليتمثلوا بها إذا ارادو وصف معشوقاتهم حتى أصبحت أكثر مفردات الطبيعة عن جمالية الحبيبة فقد شبهت المرأة.

هِلال الى الرشيد عالى الضياء

وسبق على الكفر ما في الظباء

أفلا يصحى الأنامُ لشخصٍ

صار قرداً وكان ظبياً ربيباً

الأ يكون العجب إن كان الشخص ظبياً جميلاً وصار قرداً بعد إن كان جميل المنظر وحسن الاعتدال.

وأحور من ظباء الروم ساقٍ

كغصن البان تثنيه الرياح

هنا يقوم الشاعر بتشبيهه بالظباء ولرشاقتها واعتدال وصفاء لونها كغصن البان تقوم الرياح بتثنيته.

سادساً: النحل

لقد أخذ الشعراء من صفات النحل وأشكالها وطريقة تعايش بعضها مع بعضها الآخر لنصيرهم عن مفاهيم الحياة العامة ولعل النحل من الحشرات التي حظين بنظرة مقدسة لدى العرب ومنهم الشعراء وقد أكد هذه النظرة ما جاء من ذكرٍ ووصف لها في القرآن الكريم.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلْنَاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) ﴾ (٦٤)

كأنه إذا تبدّي من كثب

كوائر (٦٥) النحل بياضاً وتقب ا

(^{۲۲}) سورة النحل: الآية: (۲۸-۹۹).

ر) حور ك. - ي. . ر (°) كوائر: هو شيء يتخذ للنحل من لفقيات أو لطيش ضيق الرأس أو هو عسلها في الشمع أنظر القاموس المحيط (١٩٨/٢).

المبحث الثاني

جمال الطبيعة الصامتة أو الساكنة

أولاً: الليل

يعد الليل من مظاهر الطبيعة الصامتة التي انشغل الشعراء بوضعها فهو يمثل الزمن التي تهيج فيه العواصف وتتقد فيه المشاعر عند سكون الطبيعة. (٦٦)

ومن أكثر العناصر فاعلية في صورة الليل هو اللون الذي يمثل رابطاً حياً بينه وبين عناصر الطبيعة وهو يمثل وجهاً من وجوه التعبير الفني. (7)

نمضى بليل فإذا أقبلت

أقبلت الشيء بأقبالها

يريد الشاعر أن يصف رحلة الحبيبة في ليل يحمل من طلعتها، أما الشمس فلكونها تأخذ نورها من الحبيبة فإن طلعتها وإقبالها صورة جمالية تجلية من جمال الحبيبة وطلعتها. (٦٨)

الطبيعة الصامتة: قد يلجأ الشاعر العربي إلى الطبيعة الصامتة يستجدي منها جمالها وكمالها وروائع صفاتها، فجمال الحدائق الغناء يراه في اجته الشاعر كشاجم في حبيبته، فكأن وجه الحبيبة مغرق بماء العلا والشباب مما استمده من ماء الرياض ومن جماله يقول كشاجم:

وَى بماءِ العُلا وماءِ الشباب (٢٩)

ةُ غداة الإر غاب و الإر هاب

ورياض الجمال في وجهه تُغـ

وكانَّ الظلامَ والنور طيفاً

⁽٢٦) ينظر: الليل في الشعر الجاهلي، د. نوال مصطفى أحمد: ١٣٤.

^(٬٬) ينظر: مقدمة لحجرة الغزل العربية، عبد الحميد حيرة: ٧١.

ينظر: مقدمة لحجرة الغزل العربية، $^{(\Lambda)}$

⁽۲۹) دیوان کشاجم: ۲۶

ثانياً: النجوم والكواكب

لقد عثر التفات العرب في الجاهلية إلى النجوم والكواكب حتى انهم اطلقوا على ابرزها تسميات خاصة وقد صنفوها إلى مجموعات وأطلقوا على كل مجموعة منها أسماً خاصاً لما لها من أثر في حياتهم فكانت الكواكب مما يهتدون بها للوصول إلى مقاصدهم فضلاً عن أنها دخلت في معتقداتهم وقد ذكر النجوم والكواكب عشراً في شعر الشعراء التي وظفوها في أشعارهم لما توحيه مناظرها من ايحاءات ذات ابعاد جمالية تهيج مشاعرهم وتثير احاسيسهم.

ومن الطبيعة الصامتة

والنجم في أفق الغروب كأنه

كأس عليها لؤلؤ منظوم

يريد الشاعر وصف النجم وهو في أفق الغروب ويشبه جمال النجم بالكأس الذي عليه لؤلؤ. ('')

ومن الشبه العامة

كالكوكب المنتقض أو

سهم من القوس انخرط

يريد الشاعر من الكوكب الذي في أفق السماء ويشير إلى جمال الكواكب. $(^{(YY)})$

^{(°&#}x27;) ينظر: اللون وأبعاد، في الشعر الجاهلي: ٣١

المصدر نفسه $^{(1)}$

⁽۲۲) المصدر نفسه ۱/٦

ثالثاً: البرق

من مفردات الطبيعة التي تدخل في حيز الأنواع (البرق) فقد شدهم أمره كثيراً فالتفتوا إلى طريقة حدوثه وما يصدر عنه من بريق ساطع جلب انتباههم فحرك في نفوسهم كوامن الاعجاب التي ترجمت على هيأة لوحات شعرية جميلة فتردد ذكره كثيراً في اشعار هم. (٧٢)

(البرق عند العرب يبشر الغيث به يحدون سقوط المطر وعليه يفسران إلى مراجع الماء) وكان يميزون البرق خادعاً أم صادقاً يحمل بشارات الخير. $(^{(Y)})$

الطبيعة الصامتة قال كشاجم

والغيث يبكي من خلال نباتها

والبرق يضحك من ضحك الثامن

فالشاعر عبر وصف البرق في حين جعل من البرق شخصاً ضاحكاً كالبشر فأبدع أينما إبداع. (0)

⁽٢٣) ينظر: الجوان ١٣٤/٥، وبلوغ الإرب ابو المعالى ١٦١/٢. وصبح الاعشى الملتشندي ٨٢١.

⁽٧٤) الليل في الشعر الجاهلي.

^(°°) ديوان كشاجم: ٣٩.

رابعاً: الرياح

ليس عجباً أن تحظى الرياح بمساحة مهمة من عناية الشعراء فقد كانت واحدة من جملة الأنواع التي كان يعاني منها الناس وهم يعيشون بالصحراء بما تصفه به من حرارة عالية في فصل الصيف وبرودة شديدة في الشتاء بما تحمله من تباشير الخير ومنها ما كان عث في نفوسهم البؤس والشر. (٢٦)

ومن الطبيعة الصامتة قال كشاجم:

من نرجس غرف الأجنان

ذر الريح الورد منتشر ً

يريد الشاعر ومن الذر في رياح الورد المنتشرة وجمالها في النرجس الذي غرق الأجنان. (٧٧)

خامساً: الأمطار

لما ارتبطت حياة العرب بالصحراء فهي البيئة التي يعيشون فيها ومنها يرزقون فقد تعلقوا بعناصر طبيعية كان لها الأثر في إحياء هذه البيئة ومنها المطر فهي مصدر العيش الوحيد لتلك البيئة الصحراوية فسوف تمرع الأرض وتخضر حتى صار رمزاً للخصب والحياة والخلود وقد تعاقب الشعراء على ذكر المطر مصورة في لوحات شعرية رائعة تنم عن حبهم له وتفائلهم بنزوله فهو تأمل في ساحة من الليل تبدو بأبهى صورها ففي هذه الساعة تبرز رائعة حين ينشق عنها البرق بضيائه الأخاذ بعدما اختلط عليها الظلام وذلك أن الأضداد حينما تجتمع تبرز مواطن جمالها. (۸۷)

⁽٢٦) ينظر: الطبيعة في شعر النابغة الجعري ٥٤

⁽۷۲) ديوان کشاجم ۳۶

 $[\]binom{v^{\lambda}}{i}$ ينظر: الصور السمعية في الشعر الجاهلي: ٢٠.

ومن الطبيعة الصامتة قال كشاجم:

والغيث في خلال نباتها

والبرق يضحك من ضحك الشامت

فالشاعر وصف المطر وكأنه وهو ينثال من الأوراق كأنه دموع الورد التي من يموت الورد في حين وصف موت بشكل كرات بشروية ضاحكة اشارته على الورد وهذه وصور مزينة تدل على النكل الاهلاق للثاء وبما يمنح به من قدرة على أنته الكائنات فالشاعر قبل من المطر شخصاً باكياً عبر أوراق الأزهار في حين جعل من البرق شخصاً ضاحكاً كالبشر. (٢٩)

سادساً: الطلل:

من أكثر الأشياء التي ألتفت إليها الشعراء قبل الإسلام هو الطلل فكثيراً ما كان يقف عليه الشعراء في مقدمات قصائدهم، وذلك لوثاقة ارتباطه إنسانية الشاعر وبما يكشف عن لواعج تخبئ بين طياته شدة تعلقه بالأرض وبالقبيلة التي ينتمي إليها حتى شاعر أقران ذكر الطلل بالبكاء وكان البكاء على الطلل يمثل نقطة بداية الإبداع عند الشاعر.

وما وقوف الشاعر عند أطلال احبته أو بكاء دياره التي هجرها إلا أن الطلل عند قطعة من الحياة التي تهرم كلما مضى منها جزء لا يستطيع الإنسان رده مهما حاول فكان على الطلل أصبح يعنى البكاء على الحياة نفسها. (^^)

(^^) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٢٥.

^{(&}lt;sup>۷۹</sup>) ديوان کشاجم/ ۳۹

والعربي شديد الارتباط بالأرض والأحبة، ولذلك كان يقف على طريقة الجاهلين يبكى ديار الأحبة، ويبكي الطلل الذي يمثل لحظة زمانية ماضية عاشها بحب ولحظة مكانية ما بقي إلا آثار ها البالية أو هو ذلك يقول:

ربعٌ تعفر فأعفر من جوي وأسي

قلبي وكان إلى اللّذاتِ منقلب (٨١)

ومن الطبيعة الصامتة قول الشاعر:

ومستدير كجرم البدر مسطوح

عن كلّ رائعة الأشكال مصفوح

(11)

فالشاعر هنا يصف استدارة القمر في تمام اكتماله، وهنا يصف جماله في تمام تكامله، وأن العرب يصفون جمال الأنثى ولاسيما وجهها وصفاؤها بجمال القمر في ليلة الكمال ولكن الدراسات العليا أشارت إلى أن القمر يكون منحوساً في ليلة اكتماله. (٨٣)

(^۱) ديوان كشاجم: ۲۸

 $\binom{\Lambda^r}{M}$ المصدر نفسه: ۱ه.

⁽٢٠٠) انظر: مجلة ألف باء: ٤٤، مقال الكاتبة إيمان خليفة (رأفةً بنا أيها القمر)، إذ تتحول ليلة القمر إلى ليلة ذئبية.

الخاتمة

الوصف هو فن شعري أصيل، وهو فن من فنون الاتصال اللغوي، يستخدم لتصوير المشاهد، وتقديم الشخصيات والتعبير عن المواقف والمشاعر والانفعالات.

وبعد دراسة جزء من هذا الفن الشعري في ديوان الشاعر أبي الفتح كشاجم، وكان لابد من الوقوف عند أبرز النتائج التي توصل إليها البحث وأهمها:

- 1- إن ازدهار الحضارة العربية في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً شمل جميع جوانب الحياة العباسية وجمال الطبيعة التي افتتن بها وفصلوا في وصفها والتغني بمفاتنها مما جعلهم يفردوا قصائد مستقلة ومقطوعات شعرية خاصة في هذا الغرض بحيث تستطيع هذه القصائد باستيعاب طاقة الشاعر التصويرية وخياله التصوري، غير الالتزام التي تسير عليه القصيدة العربية فلم يترك الشاعر زاوية من زوايا الطبيعة إلا وطرقها.
- ٢- كشاجم شاعر فصيح عذب الألفاظ غزير الكلام، ومن الشعر اللفظة الجزلة والعبارة الفخمة والصورة القوية، ليتلائم المعنى مع المبنى، ويخرج فيها يملأ القلب ويطرب السمع ويمتع الخيال في أن واحد.
- وقد تميز شعر أبي الفتح في الوصف بالبراعة حيث توافرت له أدوات الوصف والتي تبدو في الملاحظة الدقيقة والانفعال الهادئ المستمر بالصور التي يقع عليها حسن الشاعر واللغة التي تمكنه من التعبير والتصوير.
- ٣- يعتبر شعر كشاجم صورة دقيقة لبيئة العصر العباسي ومرآة صادقة لطبيعتها وسحرها وجمالها فقد وصف طبيعتها ممثلة في الحقول والرياض والأنهار والسحاب وأيضاً موصوفاته في الحيوان فقد وصف الجواد والطيور الجارحة، وغيرها.

وتعد قصائد الطبيعة عند كشاجم لوحة بارعة الرسم أنيقة الألوان محكمة الظلال تشد أنتباه القارئ وتشير اهتمامه.

- ٤- اصبح شعر الطبيعة عند كشاجم نظراً للأهتمام به يحل محل أبيات النسيب
 في قصائد المديح بل أن قصيدة الرثاء لا تخلوا من جانب وصف الطبيعة.
- ٥- وصف الطبيعة عند الشاعر مرتبطاً ومتصلاً بالغزل والخمر ارتباطاً وثيقاً فوصف الطبيعة هو الطريق إليها فكانت مجالس الغزل والخمر لا تعقد إلا في أحضان الطبيعة.

وفي الختام اسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ثم مقبولاً من أساتذتي ... واسأل الله أن يكون ولي، هو نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أدب النديم، أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب المعرف بكشاجم، د.ط، د.ت
 - ٣- أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي،
- ٤- الاعلام ج٧، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م
- ٥- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج٣، ط٢ (١٣٩٤هـ ١٩٧٤م) در الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٦- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.
- ٧- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، طبعة جديدة علق عليها، د. شوقي ضيف، د.ط، دار الهلال، القاهرة، د.ت.
- ٨- تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣٣، السيد مرتضى الحسيني الزبيدي
 (٥٠١١هـ)، تحقيق: إبراهيم النزري، ط١، سلسلة من التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٠م.
- 9- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، ج١، د.ط. مطبعة السعادة بمصر، ١٩٦٥م.
- ۱- الجامع في تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري، ط١ دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.
- ۱۱- ديوان كشاجم، محمود بن الحسين، شرح وتحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، ط۱، (۱۶۱۷هـ ۱۹۹۷م).
- 1۲- ديوان الصنوبري، احمد بن محمد بن الحسن الصنوبري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ۱۹۷۰م.
- ۱۳- الديارات، أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي (ت۸۸۸هـ)، تحقيق: كوركيس عواد، ط۳، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ۱۹۸٦م.

- ١٤ دراسات في تاريخ الشعر العباسي ونصوصه، رمضان عبد الغني العطار
 ١٠ د.ط، مكتبة الآداب، القاهرة بمصر.
- ٥١- دراسات في الشعر العباسي، صلاح مهدي الزبيدي، ط١، الاكاديميون للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ٢٠٠٤م.
- 17- زهر الآداب وثمر الألباب، ج٣، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصر القيرواني (٥٣هـ)، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د.ت.
- ۱۷- سير أعلام النبلاء ج٦، الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، تحقيق أكرم البوشي، ط١١، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 1997م.
 - ١٨- شعر الطبيعة في الأدب العربي، د. سيد نوفل، القاهرة، ١٩٤٥م.
- 19- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٣، للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) ط١، عنيت بنشره دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٠هـ.
- ٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج١، أبن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤ (١٩٧٢م)، دار الجيل للنشر والطباعة، بيروت-لبنان.
 - ٢١- وصف الليل في الشعر الجاهلي.